8 – قصيدة التفعيلة في الجزائر

تمهيد: بدأت تجربة الشعر الحر أو ما يصطلح عليه بشعر التفعيلة عام 1947 في العراق مع نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ثم انتشرت في بقية الوطن العربي.

البدايات: في الجزائر يرى الدارسون بأن حركة شعر التفعيلة لم تظهر إلا في 1955 مع تجربة **أبي القاسم سعد الله في قصيدة (طريقي)** التي نشرت في جريدة البصائر الثانية عدد 311 في 1955/3/25، و يقول فيها:

يا رفيقي
لا تلمني عن مروقي
إذ أنا اخترت طريقي
وطريقي كالحياة
شائك الأهداف مجهول السمات
عاصف الأرياح وحشيّ النضال
صاخب الشكوى ، وعربيد الخيال

وفي هذا الشأن يقول سعد الله: "كنت أتابع الشعر الجزائري منذ سنة 1947 باحثا فيه عن نفحات جديدة وتشكيلات تواكب الذوق الحديث، ولكني لم أجد سوى صنما يركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد، وصلاة واحدة... غير أن اتصالي بالإنتاج القادم من الشرق، ولا سيما لبنان، واطلاعي على المذاهب الأدبية، والمدارس الفكرية والنظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر".

كما نذكر قصيدة **(أنين ورجيع) للشاعر أحمد الغوالمي** المنشورة في البصائر عدد 315 في 22 أفريل 1955 التي يقول فيها:

ليت شعري ما لطير لا يغرد؟
للربيع الباسم الضحوك
لجمال زاخر بالفاتنات
لشعور طافح بالذكريات
لبلابل السعود

للزهور للورود

للرعود للبروق

للصبوح للغبوق

كما نشرت تجارب بعد الاستقلال لكنها مؤرخة سابقا مثل: **قصيدة (حنين) لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي** المؤرخة في 4 أفريل 1953، وقصيدة (الموتورة) لأبي القاسم خمار المؤرخة في عام 1954، ويذكر سعد الله أنه كتب قصيدتي (مصرع غرام)، و(صرعى على العشب) في تونس عام 1953. ومهما تعددت الأقوال فإن سعد الله هو الشاعر الذي توجه إلى شعر التفعيلة عن وعي و اقتدار وحاول التجديد في الموسيقى الشعرية، ولعل من أهم عوامل ظهور القصيدة الحرة في الجزائر ثورة التحرير عام 1954 التي لم تكن تقتصر على السياسة فقط، بل امتدت إلى جميع المجالات. ويذكر سعد الله أنه أثناء تواجده بتونس اطلع على ما كان ينشر من الشعر الجديد، و أيام تواجده بالقاهرة توثقت صلته بهذا الشعر وبالشعراء أمثال أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور، ويقرّ أنه كان يتابع آثار السياب والملائكة ونزاز قباني، وكذلك صلته بمجلة (الآداب البيروتية) ومشاركته فيها قراءة ونشرا.

ويمكن القول بأن شعراء الجزائر تعاملوا مع الشكل الجديد بطريقة حيية مترددة، وكان ميلهم إلى القصيدة العمودية أكثر وأوفر من القصيدة الجديدة، ومن أمثلة الجديد عام 1957 **قصيدة (الصخرة) لأبي القاسم سعد الله:**

أيّ إصرار و بأس

أيّ درس

توج المستقبل الحر وغنى قبل أمس

وأزاح الغيم عن آفاق شعبي

أيّ درس

زعزع المجد الفرنسي

وأثار الرعب في السين ومنّاه بنحس

وقصيدة (منطق الرشاش) لأبي القاسم خمار:

لاتفكّر .. لا تفكّر..

يا لهيب الحرب زمجر ثم دمّر

في الذرى السمراء في أرض الجزائر

لا تفكر

مزّق الأحياء أشلاء، وبعثر

حطّم الطغيان كسّر

وانشر الإرهاب و النيران أكثر

ثم أكثر..

و من **قصيد محمد الصالح باوية (الإنسان الكبير) عام 1958:**

يا زغاريد اعصفي

يا هتافات اقصفي

مزّقي طيف الحدود اللاهثات

طوّفي بالأفق

طيري حطّمي حلم الطغاة المرهق

خضّبي الإنسان و الأعشاب بالنصر الخضيب المشرق

وقد يلجأ بعض الشعراء إلى توزيع القصيدة العمودية على منوال القصيدة الحرة لإيهام القارئ العادي أنها من الشعر الحر، لكن القارئ المتمرس للشعر العربي يمكنه كشف البنية الموسيقية للقصيدة من خلال ترديد سطورها.

تراجم موجزة للشعراء:

– **أحمد الغوالمي:** ولد بنواحي ميلة في 1920 تعلم هنالك، كما أخذ عن الشيخ مبارك الميلي، ثم بالجامع الأخضر على يد ابن باديس، ثم بتونس. عاد إلى الجزائر ومارس التربية والتعليم إلى التقاعد عام 1983، توفي في ديسمبر 1996. له ديوان شعر و مجموعة مقالات .

– **أبو القاسم سعد الله:** ولد بالبدوع بوادي سوف عام 1930 وبها تعلم، انتقل إلى تونس ليلتحق بالزيتونة، ثم إلى القاهرة، وحصل على ليسانس في الأدب من كلية دار العلوم، ثم إلى أمريكا، وعاد بشهادة دكتوراه في التاريخ عام 1965. درّس بجامعة الجزائر توفي في 2014 له: الحركة الوطنية الجزائرية، تاريخ الجزائر الثقافي، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، وله في الشعر: النصر للجزائر، ثائر و حب، الزمن الأخضر.

- **محمد الصالح باوية:** ولد بالمغيّر عام 1930 درس هنالك ثم بمعهد ابن باديس ثم تونس، والكويت فسوريا، سافر في بعثة دراسية طبية بيوغسلافيا بدأ حياته الشعرية منذ 1952، له أغنيات نضالية.

- **أبو القاسم خمار:** ولد ببسكرة عام 1931، درس بها ثم بقسنطينة فتونس فسوريا أين تخرج من كلية الأداب في 1964. من دواوينه: ربيعي الجريح، ألوان من الجزائر، ظلال و أصداء، أوراق، الحرف الضوء.

- **محمد الأخضر عبد القادر السائحي:** ولد بتقرت في 1933 درس ببلدته وعلى يد ابن عمه السائحي الكبير بباتنة، ثم بالزيتونة، أتم دراسته بجامعة الجزائر. له: ألوان، ألحان من قلبي، الكهوف المضيئة، أغنيات أوراسية، واحة الهوى، بكاء بلا دموع، معلقة الجزائر.